المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
العدد الثامن والعشرون شهر(9) 2020

أثر القدوة الحسنة في التربية الإسلامية

مؤيد السيد يوسف الطبطبائي

مدرب متخصص (ج)
الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب
المعهد الصناعي - الشويخ
قسم المواد العامة
دولة الكويت

E-mail: moayed_67@hotmail.com

الملخص

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على أثر القدوة الصالحة في إصلاح النشء ونتائجه الطيبة على المجتمع، منطلقاً في بحثي هذا من التعريف بمعنى القدوة وأهم مؤهلاتها الروحية والقيادية في تأثيرها على البيئة المحيطة بهذه القدوة، وما يجب أن تكون عليه هذه القدوات في المجتمع وسمات شخصياتهم، مبيناً بعض النماذج الإيجابية والسلبية وأثرها في أخلاقيات الأفراد والمجتمعات.

ثم عرضتُ للحديث عن اهتمام القرآن الكريم والسنة المطهرة ببيان النماذج الصالحة للقدوات المتمثلة في الأنبياء والمرسلين، الذين كان لهم الأثر الأكبر في إخراج أممهم من الظلمات إلى النور، وتحدثت في ذلك عن النموذج الشامل والأكمل للقدوة الصالحة، وهو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم المثال الأسمى والأروع في تعامله مع شرائح المجتمع قاطبة، ضارباً الأمثال والمواقف الدالة على قدوته في علاقاته، مبيناً سمات شخصيته الفذة في تأثيرها على من صاحَبَها أو اقتدى بأثرها إلى يومنا هذا.

وانتهيت في بحثي بتبيان خطر القدوة السيئة، وأثرها السلبي على أخلاقيات المجتمع والأفراد، وأنها سبب في ضياع القيم، وتفشي الانحلال السلوكي والأخلاقي في أوساط المجتمع، ثم اختتمت بحثي هذا بالتوصيات المناسبة الداعية إلى تفعيل القدوة في واقع المسلمين، أفراداً ومجتمعات، للنهوض بالجيل الصاعد إلى النجاح والفلاح.

الكلمات المفتاحية: قدوة- تربية- أثر وسائل الإعلام- المعلم- أسوة- المربي- أثر الصديق- نماذج حية- أسرة.

Summary

The study aims to shed light on the effect of a righteous role model in the reform of the youth and its good results on society, starting in my research in defining the meaning of the role model and its most important spiritual and leadership components in its impact on the environment surrounding this role model, and what these role models should be in society and the characteristics of their personalities, indicating Some positive and negative models and their impact on the ethics of individuals and societies.

Then we talked about the interest of the Holy Qur'an and the pure Sunnah in showing valid examples of role models represented by the prophets and messengers who had the greatest impact in bringing their nations from darkness into light, and we talked about this comprehensive and most complete model of the righteous example, represented by the Messenger of the Ummah, Muhammad, may God bless him and grant him peace, the supreme example And the most wonderful in his dealings with all segments of society, citing proverbs and stances indicating his example in his relations and showing the characteristics of his inimitable personality in its influence on whoever has it or who has emulated its impact to this day.

We ended our research by showing the danger of a bad example and its negative impact on the ethics of society and individuals, and that it causes the loss of values and the spread of behavioral and moral decay in the circles of society, then we concluded this research with appropriate recommendations calling for the evaluation of individuals and society and ways to advance it to goodness and prosperity.

Key words: example, education, example, media, teacher, example, instructor, friend's impact, live models, family

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على خاتم النبيين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد...

فهذا بحث في مكانة القدوة الحسنة في حياة المسلمين وأثرها على النشء والمجتمع المسلم، ولما كان الفرد هو اللبنة الأولى في المجتمعات، ويتوقف عليه صلاحه، كان حقًا على أهل الفضل من الدعاة والتربويين ومن له تأثير مباشر على المجتمع وأفراده، أن يهتموا بهذا الجانب التربوي والشرعي في إعطاء النماذج الواقعية للناس عامة وللصغار بشكل خاص.

لذا وددت أن أبين في بحثي هذا معنى القدوة الحسنة، وما يجب أن يكون عليه هذا النموذج من صفات وتصرفات، فعلية كانت أو ألفاظًا قولية أو في المظهر الخارجي، مما له تأثير على المحيط المجاور والمعايش لهذا القدوة، كما تطرقت في بحثي هذا إلى أثر القدوات السيئة التي بدأت تنتشر وتصل الى أبنائنا عبر وسائل الاتصال الاجتماعي عن طريق الأجهزة الذكية وغيرها، مما يشكل تهديدًا لأخلاقهم ودينهم، منعكسًا سلبًا على صلاح المجتمعات والشعوب.

وسأستعرض في بحثي هذا جانبًا من حياة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فهو النموذج الكامل في القدوة الحسنة، ومواقف من سيرته العطرة، فهي النبراس والطريق الذي يُقتفى أثره، والنور الذي يُهتدى به صلى الله عليه وسلم، آملًا أن أضيف فائدة، مستعينًا بالله تعالى ومتوكلًا عليه.

□ □ □

تمهيد

المطلب الأول: معنى القدوة وأهميتها

أولًا: معنى القدوة:

القدوة: في اللغة: الْأُسْوَةُ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَضَمِّهَا الْقُدْوَة، وَتَأَسَّيْت بِهِ وَائْتَسَيْت اقْتَدَيْت. يُقال فلان قدوة: إذا كان يُقتدى به. ولي بك قدوة(١).

وفي الاصطلاح: عرفها العلماء بتعاريف متنوعة متقاربة، فقال الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى:

"الأسوة والإسوة كالقدوة، وهي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسنًا وإن قبيحًا، وإن سارًا وإن ضارًا"(٢).

وعرفها الخطيب الشربيني رحمه الله تعالى في تفسيره بقوله:

" الأسوة اسم وُضع موضع المصدر وهو الائتساء، فالأسوة من الائتساء كالقدوة من الاقتداء، وائتسى فلان بفلان أي: اقتدى به، وقرأ عاصم بضم الهمزة، والباقون بكسرها، وهما لغتان: كالعُدوة والعِدوة، والقُدوة والقِدوة "(٣).

الأسوة، ومن يتخذه الناس مثالا في حياتهم، وبعبارة أخرى هو النموذج الصالح الذي تصدق أفعالُه أقواله، ويسعى نحو الأكمل في سلوكه وقوله وفعله، مراعيًا من حوله، سائرًا مع هدايات الشرع المطهر، وعادات المجتمع الذي يعيش فيه، مما لا يتعارض مع ديننا الحنيف.

ولا شك أن أعظم القدوات الحسنة تتمثل في الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام قال تعالى: {**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**}. [الأحزاب: ٢١]، ثم يأتي من بعدهم الصالحون والهداة المهديون من العلماء والمربين الفضلاء وعلى رأسهم أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذين رباهم سيد البشر على كتاب الله وسنته، ثم مَن جاء بعدهم من أهل الصلاح إلى يومنا هذا.

ثانيًا: أهمية القدوة:

بطبيعة الإنسان أنه يؤثر ويتأثر بمن حوله، وهذا التأثر إما أن يكون إيجابا أو سلبا بحسب شخصيته، فالأطفال مثلا يتأثرون بوالديهم الذين يمثلون لهم مصدر الأمن والحب والعطاء، إذ يرى الولد في شخص والده الرمز الملهم الذي لا يضاهيه شيء، يرى فيه القوة والشخصية المحببة،

(١) الفيومي، المصباح المنير مادة (أسو)، والمعجم الوسيط (قدا).
(٢) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن،١٤١٢، ص٧٦.
(٣) الشربيني، تفسير، د.ت، ٤٥/١.

لذلك فهو يستنسخ كل ما يصدر من هذا الأب من أقوال وأفعال وسلوكيات: إيجابية كانت أو سلبية، وهنا تكمن أهمية القدوة الحسنة في تنشئة شخصية هذا الطفل، الذي يتأسس وفق ما يراه ويسمعه من هذا الأب. وقد قيل قديمًا: "العلم في الصغر كالنقش على الحجر"، ولهذا نرى كثيرًا من الأبناء يتصفون بصفات مماثلة لصفات آبائهم وشخصياتهم التي اكتسبوها من معايشتهم لهم منذ نعومة أظفارهم، وقد قال الشاعر:

مَشَـــى الطـــاووسُ يومًـــا باعْوجـــاجٍ ... فقلّـــدَ شـــكلَ مشـــيتهِ بنـــوهُ

فقـــالَ: عـــلامَ تختـــالونَ؟ فقـــالوا: ... بـــدأْتَ بـــه ونحـــنُ مقلِـــدوهُ

فخـــالِفْ ســـيركَ المعـــوجَّ واعـــدلْ ... فإنـــا إن عـــدلْتَ مُعَـــدِّلُوه

أمَـــا تـــدري أبانـــا كـــلُّ فـــرعٍ ... يجـــاري بـــالخُطى مـــن أدّبـــوه؟

وَيَنْشَـــأُ نَاشِـــئُ الفِتْيَـــانِ مِنَّـــا ... عَلَـــى مَـــا كَـــانَ عَـــوَّدَهُ أَبُـــوهُ

والمهم بيان أن المناهج النظرية المجردة، تبقى حبيسة القراطيس والكتب والأفكار، ولكن الذي يتفوق عليها جميعًا بفارق كبير، إنما هو العمل والتطبيق والمشاهدة والواقع.

تذكر كتب التاريخ والأدب أن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى أدخل يوماً إلى بعض حُجر هارون الرشيد رحمه الله تعالى ليستأذن له، ومعه سراج الخادم، فأقعده عند أبى الصمد مؤدب أولاد هارون الرشيد فقال سراج للشافعي: يا أبا عبد الله هؤلاء أولاد أمير المؤمنين، وهذا مؤدبهم فلو أوصيته بهم. فأقبل عليه فقال:

"ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاحك نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما تستحسنه والقبيح عندهم ما تكرهه، علمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه ولا تتركهم منه فيهجروه ثم روهم من الشعر أعفه ومن الحديث أشرفه ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه فإن ازدحام الكلام فى السمع مضلة للفهم"(١).

(١) ابن الجوزي، صفة الصفوة،١٩٧٩، ٢/٢٥٥.

المطلب الثاني: ابدأ بنفسك

نعم على الوالدين ومن يقومون بمسؤولية تربية النشء من معلمين ومصلحين ودعاة ومن لهم مكانة اجتماعية مؤثرة أن ينتبهوا إلى أنهم محط أنظار كثيرين، وأنهم مصدر إلهام لهؤلاء الناشئة، إذا كنا نريد تأسيس مجتمع صالح نموذجي، وهذا يستوجب منا مراعاة كثير من أفعالنا وأقوالنا وسلوكياتنا، فليحرص هذا القدوة على أن يتصف بجميل الصفات كالصدق والأمانة والحب والحكمة والأخلاق الحميدة في قوله وفعله.

ولعل من أهم النقاط التي يجب أن ينتبه لها القدوات، هو أن توافق أقوالُهم أفعالَهم، فليس من المعقول أن تتحدث إلى ابنك عن خطر التدخين ومضاره الصحية، ثم تشعل (سيجارة) أمامه، هنا يقف هذا الابن عاجزًا عن فهم هذا التناقض مع نصيحة هذا الأب القولية، حائرًا في هضمه فكرًا عقلًا.

إن حرص القدوة الحسنة على الظهور في أجمل الصور أمام أبنائه أو طلابه يحتاج إلى جهد كبير في كبت هوى النفس عن الانجراف عن جادة الصواب، وهو في ذلك يعيش في صراع مع النفس في انزلاقها وتنازلها عن القيم التي يريد أن يوصلها لأبنائه، قال تعالى: {**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ**} [يوسف: ٥٣].

فإذا عَلِم أن سقوطه في مستنقع السلوكيات السلبية، هو سقوط لأثر القدوة الحسنة، وأن ضعفه أمام أهوائه هو ضعف في تأثيره قدوةً ومثلًا.

وفي هذه السبيل - أعني سبيل الثبات على صفة القدوة الحسنة- تجدر مراعاة بعض النقاط سعيًا نحو أثر أفضل، وشخصية منسجمة مع الذات ومع المحيط المراقب المتابع.

أهم هذه النقاط:

١) توافق المبادئ مع الأقوال والأفعال.

٢) الحرص على أن تكون القيم مستمدة من الدين الحنيف.

٣) الإيجابية في التعامل مع الذات ومع المحيطين بك.

٤) الاهتمام بالمظهر الخارجي شكلًا وسلوكًا.

٥) التصرف بمسؤولية أمام الأبناء والآخرين.

٦) الحرص على الحديث النافع، الذي يشع أدبًا واحترامًا للآخرين.

٧) إظهار السعادة والرضا والقناعة أمام الأبناء، ومنحهم من الحب والحنان الكثير الكثير.

٨) القيام بالتطبيق العملي للنظريات والأقوال التربوية، وكمثال على ذلك، العادات الغذائية، فيترك القدوة الضار من الأغذية السيئة، وهكذا...

٩) الحزم في المواقف التي يحصل فيها مجاوزة لحدود الأخلاق، ولاسيما ما يمس الآخرين.

١٠) الاهتمام بمشاركة الحديث مع الأبناء والطلاب، والاستماع إليهم باهتمام، وإبداء النصيحة بشيء من الحب واللين.

المبحث الأول: القدوة في القرآن الكريم وفي الهدي النبوي

المطلب الأول: القدوة الحسنة في القرآن الكريم:

شدد القرآن الكريم على فضل القدوة الحسنة في إصلاح النفوس والمجتمعات، وبيّن ذلك في كثير من الآيات الكريمات، قال تعالى: {**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**}، [الفرقان: ٧٤].

وقد ذكر المفسرون في تفسير هذه الآية ومنهم القرطبي، فقال عند قوله سبحانه: {**وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**}، أي "قدوة حسنة يقتدى بنا"، توصل المقتدين بنا إلى طريق النجاة والسعادة، وفي ذلك تطلع المؤمنين إلى أن يجعلهم الله تعالى في منزلة عالية من الصلاح والاستقامة، وأئمة يقتدى بهم، وهذا فيه من الهمة الشيء الكثير.

وجاء في القرآن الكريم التحذير أيضا من مخالفة الأفعال للأقوال؛ لأنها مدعاة لاهتزاز ثقة الآخرين بالقائل، وتجاهل ما يدعو إليه من صلاح وخير وحق، قال تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ**}، [الصف: ٢-٣] .

وفي ذلك ينشد الشاعر أبو الأسود الدؤلي:

لاَ تَنْـــهَ عَـــنْ خُلُـــقٍ وتـــأْتِيَ مِثْلَـــهُ ... عَـــارٌ عَلَيْـــكَ إذَا فَعَلْـــتَ عظـــيمُ

وابـــدَأْ بِنَفْسِـــك فانْهَهَـــا عـــن غَيِّهـــا ... فـــإذَا انْتَهَـــتْ عَنْـــه فأنْـــتَ حكـــيم

وهنـــاك يُسْـــمع مـــا تقـــول، ويُقْتَـــدَى ... بالفعـــل منـــك، ويَنْفـــع التَّعلِـــيمُ[1]

(١) ابن حزم، الأَخْلاَقُ وَالسِّيَرُ، ١٩٨٨، ١٨٥/١.

المطلب الثاني: القدوة في الهدي النبوي

عندما نتحدث عن القدوة الحسنة فأول من يجتمع فيه كمال النموذج، وسمات الشخصية الصالحة، هو بلا شك ولا ريب خير البشر وإمام المرسلين وسيد الأولين والآخرين، وأحب خلق الله لرب العالمين، إنه القدوة الحسنة بكل ما تحمله هذه الكلمة من مضمون.

مدحه الله تعالى بقوله: {**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**}، [القلم: ٤]. وقال أيضًا: {**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**} [الأحزاب: ٢١].

وجعله الله تعالى لنا مثالا نحتذي به الى يوم الدين، نقتبس من أثره، وننهل من كريم عطائه في شتى الميادين.

وإذا نظرنا في حكمة كون الأنبياء من جنس البشر، لا من الملائكة ولا من أي جنس آخر، لظهر لنا أن غاية ذلك هي الاقتداء والاتباع، وقد رد القرآن الكريم على طلب المشركين أن يكون الرسول من جنس الملائكة بقوله: {**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا**} [الأنعام: ٩]، أي كنتم ستقولون كيف نأخذ عنه الهداية والعلم، وكيف نقتدي به؟!

كان صلى الله عليه وسلم يعلم بسلوكه، فكثيرًا ما كان يقوم بالعمل دون أن أمر المشاهِد لهذا العمل بشيء، وأكتفي بمثال واحد:

عَنْ عبد الله بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: "بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ لَيْلَةً، فَقَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَتَوَضَّأَ مِنْ شَنٍّ مُعَلَّقٍ وُضُوءًا خَفِيفًا، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، فَقُمْتُ فَتَوَضَّأْتُ نَحْوًا مِمَّا تَوَضَّأَ ثُمَّ جِئْتُ فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ فَحَوَّلَنِي فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ ثُمَّ صَلَّى مَا شَاءَ اللَّه "[(١)].

ولما كان رسولنا أسوة حسنة لنا في شأنه كله، فسأستعرض جوانب من حياته وعلاقاته مع غيره وشيئا من سيرته، بغية إبراز عظيم خلقه، وحسن تعامله في مواقف متعددة، لعلنا نسهم بنصيب مِن حقه علينا، وما أعظم هذا الحق، فهو صاحب الفضل بعد الله في هدايتنا وتوجيهنا وإرشادنا إلى كل خير.

(١) متفق عليه: البخاري، صحيح البخاري، ١٩٨٧، رقم (١٣٨)، ومسلم، صحيح مسلم، ١٩٩٩، رقم (٧٦٣).

المبحث الثاني: نماذج من القدوة في التربية النبويَّة

المطلب الأول: صفاته الشخصيَّة: عبادته، شجاعته، خلقه، رحمته.

١- نبينا خير عابد:

كان عليه الصلاة والسلام المثل الأعلى في عبادته لربه، فكان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، فتشفق عليه أمّنا عائشة رضي الله عنها بقولها: لِمَ تَصنَعُ هَذَا يَا رسولَ الله، وَقدْ غَفَرَ الله لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: "أَفَلا أُحِبُّ أنْ أكُونَ عَبْداً شَكُورًا"(١).

وكان يصوم حتى يُظن أنه لا يفطر، ويفطر حتى يُظن أنه لا يصوم، وكان عليه الصلاة والسلام يترك بعض الأعمال مما هو حبيب إلى قلبه، عليه خشية أن تفرض على أمته، أو يقتدى به فيشق على الناس.

وكان حريصًا على تعليم أصحابه العبادات وغيرها بالقدوة والتطبيق، دون الاكتفاء بالقول المجرد، فقد صلى أمامهم وقال: "صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي"(٢)، وفي الحج قال: "خذوا عنِّي مناسِكَكُم"(٣)، وكان يسلك سبيل التيسير رحمة بأمته صلى الله عليه وسلم، فعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: "مَا خُيِّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَأْثَمْ فَإِذَا كَانَ الْإِثْمُ كَانَ أَبْعَدَهُمَا مِنْهُ وَاللَّهِ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ"(٤).

٢- خلقه:

كان خلقه القرآن، صلى الله عليه وسلم كما أخبرت عنه أمنا عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خلقه، فهو حليم لا يغضب إلا إذا انتهكت محارم الله عز وجل، عادل لا يظلم، سخي بعطائه، عفيف لم تمس يده يد امرأة قط، يؤثر غيره على نفسه، يعود المريض، ويشهد الجنائز، يحب الطيب، ويجالس الفقراء والمساكين، ويكرم الضيف ويحمل الكَل، لم يضرب بيده أحدًا قط، يسلم على الصغير والكبير، أشد الناس حياء،

---

(١) متفق عليه: البخاري، صحيح البخاري، المرجع السابق، ٦٣/٢ رقم (١١٣٠)، ومسلم، صحيح مسلم، المرجع السابق، ١٤٠/٨ رقم (٢٨١٩) (٧٩) و(٨٠).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري، المرجع السابق، ١٦٢/١ رقم (٦٢٨) و(٦٣١)، ومسلم، المرجع السابق، ١٣٤/٢ رقم (٦٧٤) (٢٩٢).

(٣) أخرجه: أحمد، مسند أحمد، د.ت، ٣٠١/٣، والدارمي، سنن الدارمي، ١٤٠٧، رقم (١٨٩٩)، ومسلم، ٧٩/٤ (١٢٩٧)، (٣١٠)، وأبو داود، سنن أب داود، د.ت، (١٩٧٠)، والنسائي، سنن النسائي، ١٩٩١، ٢٧٠/٥، وابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، ١٩٧٠، رقم (٢٨٧٧)، والبيهقي، شعب الإيمان، ١٩٩٠، ١١٦/٥، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه: البخاري، المرجع السابق، (١٣٠٦/٣، رقم ٣٣٦٧)، ومسلم، المرجع السابق، (١٨١٣/٤، رقم ٢٣٢٧).

يقبل الهدية ويجيب الدعوة، وحسبنا أنه كان أحسن الناس خلقا، لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا، ولا صخابًا في الأسواق، ولا يجزي السيئة بمثلها ولكن يعفو ويصفح.

كل ذلك وغيره من جميل الشمائل، دلت عليه كتب الأحاديث والشمائل المطولة، وقبلها القرآن الكريم(١).

٣- شجاعته:

كان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس، يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كنا إذا حمي الوطيس(٢)، واشتد البأس، واحمرت الحدق، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه، وكان أشجعنا من كان أقرب إليه. ويوم أن شبت الفتنة في صفوف المسلمين في معركة حنين- كما جاء في البخاري ومسلم- فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يثبتهم، يقول البراء بن عازب رضي الله عنه: "... وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ الْحَارِثِ آخِذٌ بِلِجَامِهَا وَهُوَ يَقُولُ أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ"(٣).

وأخذ يكررها حتى دب الثبات والثقة في قلوب المؤمنين، وفي مشهد آخر من حديث يرويه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كان فزع بالمدينة، فاستعار النبيُّ صلى الله عليه وسلم فرسًا من أبي طلحة، يقال له: المندوب، فركب، فلما رجع، قال: ما رأينا من شيء، وإن وجدناه لبحرا".

وفي رواية قال: "كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناس وَجْها، وكان أجودَ الناس، وكان أشجع الناس، ولقد فزع أهلُ المدينة ذات ليلة، فانطلق نَاس مِن قِبَلِ الصَّوْتِ، فتلقاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم راجعًا، وقد سبقهم إلى الصوت وفي رواية: وقد استبرأ الخبر وهو على فرس لأبي طلحة عُرْي، في عُنُقِهِ السَّيفُ، وهو يقول: لن ترَاعوا. قال: وجدناه بحرا أو إنه لبحر قال: وكان فرسه يُبَطَّأُ".

وفي أخرى مختصرا قال: "استقبلهم النبي -صلى الله عليه وسلم على فرس عُرْي، ما عليه سَرْج، في عنقه سيف"(٤).

٤- رحمته

أ- رحمته صلى الله عليه وسلم بأمته في الصلاة:

(١) الترمذي، محمد بن عيسى، الشمائل المحمدية، د.ت.

(٢) "حمي الوطيس: اشتد الحرب والأمر، قال الخطابي: هذه الكلمة لم تسمع قبل أن يقولها النبي صلى الله عليه وسلم من العرب، وهي مما اقتضبه وأنشأه، والوطيس في اللغة: التَّنُّور". ابن الأثير، جامع الأصول،ط١، د.ت، ٣٩٢/٨.

(٣) متفق عليه: البخاري، (١٠٥١/٣، رقم ٢٧٠٩)، ومسلم (١٤٠١/٣، رقم ١٧٧٦)

(٤) متفق عليه: البخاري، ٣٠٤٠). ومسلم (٢٣٠٧).

عن عثمان بن أبي العاص الثقفي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: "أُمَّ قومَك"، قال: قلت: يا رسول الله، إني أجد في نفسي شيئًا، قال: "ادنه"، فجلسني بين يديه، ثم وضع كفَّه في صدري بين ثديي، ثم قال: "تحول، فوضعها في ظهري بين كتفي، ثم قال: "أُمَّ قومَك، فمن أَمَّ قومًا فليُخفِّف؛ فإن فيهم الكبير، وإن فيهم المريض، وإن فيهم الضعيف، وإن فيهم ذا الحاجة، وإذا صلى أحدكم وحده، فليُصلِّ كيف شاء"[١]. وفي ذلك تعليم للأئمة من بعده، وحث على الاقتداء به في رحمته.

ب- رحمته صلى الله عليه وسلم بالأم في الصلاة:

وتأملوا عباد الله إلى رحمته صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة التي هي قرة عينه، وكان لا يشغله عنها شاغل، وعلى الرغم من ذلك يُخفِّف في الصلاة رحمةً بالأُمِّ إذا بكى صبيُّها؛ عن أبي قتادة رضي الله عنه أنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أُمِّه"[٢] والإرشاد فيه للأئمة كما سبق.

ج- رحمته صلى الله عليه وسلم بهم في الصوم فشرع لهم الفطر:

من صور رحمته بأُمَّته الكثيرة جدًا أنه رخَّص لهم الفطر في السفر شفقة ورفقًا بهم؛ "عن جابر بن عبدالله قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلًا قد اجتمع الناس عليه، وقد ظلل عليه، فقالوا: هذا رجل صائم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس البِرُّ أن تصوموا في السفر"[٣].

د- رحمته صلى الله عليه وسلم بأمته ادخار دعوته شفاعةً لها يوم القيامة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجَّل كلُّ نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعةً لأُمَّتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أُمَّتي لا يشرك بالله شيئًا"[٤].

□ □ □

(١) متفق عليه: البخاري ١٨٠/١ (٧٠٣)، ومسلم ٤٣/٢ (٤٦٧) (١٨٥).
(٢) البخاري ١٨١/١ (٧٠٧). أتجوز: أخففها وأقللها. أشق: أي أثقل عليهم، من المشقة. ابن الأثير، النهاية ٣١٥/١ و٤٩١/٢.
(٣) متفق عليه: البخاري (٦٨٧/٢، رقم ١٨٤٤)، ومسلم (٧٨٦/٢، رقم ١١١٥).
(٤) متفق عليه: البخاري (٢٣٢٣/٥، رقم ٥٩٤٦) ومسلم (١٩٠/١، رقم ٢٠٠).

المطلب الثاني: علاقاته مع: الزوجات، الأصحاب، الأعداء، الحيوانات، البيع والشراء.

١- مع زوجاته:

قال تعالى: {**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً**}، [النساء: ١٩]

وخير من تتمثل فيه هذه الآية هو سيد الخلق عليه الصلاة والسلام، كان يعدل بين زوجاته في المبيت، ويصطحب إحداهن معه في سفره بعد أن يقرع بينهن، ويساعدهن في أعمال المنزل، ويستشيرهن في المواقف الصعاب كما كان مع زوجته أم سلمة رضي الله عنها يوم الحديبية، وكان وفيًّا لزوجته خديجة رضي الله عنها، يستذكر فضلها دائمًا، لم يتزوج عليها في حياتها، وكان يصل صواحبها بعد مماتها، وكان يذكرها كثيرًا.

كما أنه كان يمازح نساءه ويداعبهن ويلاعبهن، فيتسابق مع السيدة عائشة رضي الله عنها فيسبقها وتسبقه، ويطعمهن بيده الشريفة صلى الله عليه وسلم، لم تشغله الدعوة الى الله والمهمة العظيمة في قيادة الأمة، عن أن يعطي من وقته لأهل بيته صلى الله عليه وسلم.

٢- مع أصحابه:

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، هم من آمنوا به وبشريعته، وصحبوه ونصروه وآزروه وحملوا شريعته من بعده، إلى أن وصلت إلينا كاملة ناصعة، فكان صلى الله عليه وسلم يعرف فضلهم، وسابقتهم، فيقول: "خيرُ القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"(١)، ويقول: "لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ"(٢).

يجلس حيث ينتهي به المجلس، يرعاهم ويحنو عليهم، يرفع مِن هممهم، يصحح مفاهيمهم، يدعو لهم، يكره أن يبلغه أحد عنهم سوءا.

يمشي خلفهم، يصبر على تعليمهم، ويحلم على غليظهم، يدربهم على الدقة والانضباط، وطاعة القادة، ولو كان القائد أصغر من يقودهم، وكان اختياره القائد تابعًا لنقاط تفرده، واستثمار مواهبه وطاقاته.

يسبق فعلُه قولَه، ولينُه تعليمَه، وحكمتُه أمره ونهيه. يقدّم كبيرَهم وعزيزهم، يمشي في حوائجهم، ولو كان صاحب الحاجة صغيرًا أو فتاة حديثة السن.

إلى غير ذلك من جليل الخصال صلى الله عليه وسلم.

(١) أخرجه: البخاري ٢٢٤/٣ (٢٦٥١)، ومسلم ١٨٥/٧ (٢٥٣٥) (٢١٤) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.
(٢) متفق عليه: البخاري (١٣٤٣/٣، رقم ٣٤٧٠)، ومسلم (١٩٦٧/٤، رقم ٢٥٤١).

فهم أفضل الخلق بعد الأنبياء والمرسلين، وأطهرهم قلوبًا، وأدراهم فقهًا، وأبلغهم بيانًا، عرفوا الدين معاشرة ومخالطة، لا سماعًا ونقلًا، طبقوه في حياتهم وحثّوا مَن بعدهم عليه أمانة وديانة وإحسانًا، قال الله تعالى مادحًا لهم: {**وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**}، [التوبة: ١٠٠].

٣- مع أعدائه:

الأصل في دعوة نبينا صلى الله عليه وسلم هو الرحمة وحبب للخير، ورغبة هداية الناس جميعًا، قال تعالى: {**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**}. [الأنبياء: ١٠٧].

فكان عليه الصلاة والسلام حريصًا على أن يدخل الجميعُ في دين الله تعالى، فكان يتعرض لزعماء الكفار في مجالسهم وأسواقهم لدعوتهم لدين الله عز وجل، وبهذا القصد وهذه النية أعرض مرة عن عبد الله بن أم مكتوم الأعمى رضي الله عنه؛ لانشغاله بدعوة كفار قريش، فعاتبه ربه عز وجل على ذلك، وأنزل فيذلك قرآنًا وسورة تسمى سورة (عبس).

ومن هديه مع الكفار صلى لله عليه وسلم العفو والصفح، فها هو في فتح مكة بعد أن مكنه الله تعالى منهم، بمن فيها، وجاءهم فاتحًا شامخًا منتصرًا، فخاطب زعماء مكة من الكفار بقوله: "ما ترون إني فاعل بكم"؟ فقالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، فقال لهم قولته الشهيرة التي خلدها التاريخ، وأصبحت عنوانًا للصفح والعفو بقوله: "اذهبوا فأنتم الطلقاء". صلى الله عليه وسلم(١).

وفي يوم بدر حين أيده الله تعالى بالنصر المؤزر على كفار قريش، في معركة بين المسلمين وأعدائهم، أسر منهم (٧٠) رجلًا، فأمر أصحابه أن يحسنوا إليهم في المعاملة.

وكان من هديه الدائم مع الكفار احترامه للعهود والمواثيق، كما كان واضحًا في صلح الحديبية وغيره.

٤- مع الحيوانات:

لا شك أن رحمته وسعت كل من على البسيطة، من أنس وجن وحيوان وجمادات، فلا عجب أن يرق قلبه للحيوانات، فهذا جمل يشتكي بدموعه عنده صلى الله عليه وسلم من سوء معاملة صاحبه له، فيوبخه، عن أَبي جعفر عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما، قَالَ: أردفني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ، وَأَسَرَّ إِليَّ حَدِيثاً لا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَداً مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبَّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لِحاجَتِهِ هَدَفٌ أَوْ حَائِشُ نَخْلٍ. يَعنِي: حَائِطَ نَخْلٍ، فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الأنْصَارِ،

(١) الحلبي، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون،١٤٢٧،ط٢، ٤٩/٣.

فَإذا فِيهِ جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأى رَسولَ الله صلى الله عليه وسلم جَرْجَرَ وذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم فَمَسَحَ سَرَاتَهُ- أيْ: سِنَامَهُ- وَذِفْرَاهُ[١] فَسَكَنَ، فَقَالَ: "مَنْ رَبُّ هَذَا الجَمَلِ؟ لِمَنْ هَذَا الجَمَلُ؟ " فَجَاءَ فَتًى مِنَ الأنْصَارِ، فَقَالَ: هَذَا لِي يَا رسولَ الله. قَالَ: "أفَلاَ تَتَّقِي اللهَ في هذِهِ البَهِيمَةِ الَّتي مَلَّكَكَ اللهُ إيَّاهَا؟ فَإنَّهُ يَشْكُو إلَيَّ أنَّكَ تُجِيعُهُ وتُدْئِبُهُ"[٢].

وتأتي حُمّرة- وهي طائر- شاكية مفجوعة، فعن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قَالَ: كنَّا مَعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في سَفَرٍ، فانْطَلَقَ لحَاجَتِهِ، فَرَأيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ، فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءتِ الحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تَعْرِشُ[٣] فَجَاءَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَال: "مَنْ فَجَعَ هذِهِ بِوَلَدِهَا؟، رُدُّوا وَلَدَهَا إلَيْهَا"[٤].

وقال محذرًا أن تحبس البهائم دون طعام وشراب: "عُذِّبَتْ اِمْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتِ اَلنَّارَ فِيهَا، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ هِيَ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ اَلْأَرْضِ"[٥].

والأعجب من ذلك أن تتجاوز رحمته ذوات الأرواح لتسع الجمادات، فها هو يستبدل منبرًا بجذع شجرة كان يخطب عليه، وإذا بالجذع يحن إليه، ولم يسكن حتى أتاه واحتضنه، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان في مسجد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم جِذْع في قِبلته، يقوم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته، فلما وُضِعَ المِنْبَرُ سمعنا للجِذْعِ مثل أصواتِ العِشار[٦]، حتى نزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه".

وفي رواية قال: "كانَ المسجد مسقوفا على جُذوع من نَخْل، فكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم إذا خطبَ يقوم إلى جِذع منها.

وفي رواية: "أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله -صلى الله عليه وسلم: أَلا أَجْعَلُ لك شيئا تَقْعُدُ عليه؟ فإن لي غلاما نجارا، قال: إن شئتِ، قال: فَعَمِلَتْ له المنبر، فلما كان يومُ الجمعة قعد النبيُّ صلى الله عليه وسلم على المنبر الذي صُنِع له فصاحت النَّخلةُ التي كان يخطب عندها، حتى كادت تنشق، وفي أخرى: فصاحت النخلة صياح الصبيْ- فنزل النبي صلى الله عليه وسلم حتى أخذها فضمها إليه، فجعلت تَئِنُّ أنين الصبيِّ الذي يُسَكَّتُ، حتى استقرت. أخرجه البخاري.

وفي رواية النسائي: قال: "كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا خطبَ يَسْتَنِدُ إلى جِذع نخلة من سَواري المسجد، فلما صُنِعَ المنبر، واستوى عليه اضطَربت تلك السارية، تَحِنُّ كحنين الناقة،

---

(١) (ذِفْرَاهُ): هُوَ بكسر الذال وإسكان الفاءِ، وَهُوَ لفظ مفرد مؤنث. قَالَ أهل اللغة: الذِّفْرى: الموضع الَّذِي يَعْرَقُ مِن البَعِيرِ خَلف الأُذُنِ. ابن الأثير، جامع الأصول، المرجع السابق، ٥٢٦/٤.

(٢) (تُدْئِبُهُ) أيْ: تتعِبه. أخرجه مسلم ١٨٤/١ (٣٤٢) (٧٩)، وأبو داود (٢٥٤٩).

(٣) ترفرف بجناحيها.

(٤) أخرجه أبو داود (٥٥/٣، ٢٦٧٥.

(٥) متفق عليه: البخاري (٣٤٨٢)، ومسلم (٢٢٤٢).

(٦) العشار، جمع عشراء، وهي الناقة الحامل التي أتى عليها عشرة أشهر من حملها.

حتى سمعها أهل المسجد، حتى نزل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتنقها[1].

٥- في بيعه وشرائه:

عمل النبي قبل البعثة مع عمه أبي طالب، وعمل في تجارة السيدة خديجة رضي الله عنها، حتى وصل إلى بلاد الشام يبيع ويشتري بنفسه، واشتهر بين قومه بلقب الصادق الأمين، وكان يعلم أصحابه الصدق والأمانة في البيع والشراء فيقول: "رَحِمَ اللهُ رجلاً سَمْحًا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقْتَضَى"[2]، ويحذر من الغش بقوله: (من غشنا فليس منا)، وكان شديد الحرص على أن يحذر التجار من استغلال حاجة الناس، وإخفاء العيوب، فيقول: (إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا إلا من اتقى الله وبر وصدق) (٥)، ويحثهم على المسامحة، وكرم النفس في البيع بقوله: (من أقال مسلما أقاله الله عثرته يوم القيامة)، ويحذر صلى الله عليه وسلم من التعامل بالمعاملات المحرمة كالربا، وبيع الغرر، والنجش، وبيع العينة، والتعامل بالمكر والخديعة، وغير ذلك مما فيه ضرر على الناس.

هذه قبسات يسيرة من حياته صلى الله عليه وسلم، تبين لنا النموذج الصالح للقدوة الحسنة، وما يجب أن يكون عليه الناس في شأنهم كله، ولا شك أن ما ذكرناه في هذه اللفتات السريعة لا تفي بمقام رسولنا الكريم صاحب السيرة العطرة، والحديث عنه وعن سلوكه العام والخاص يطول ولا ينتهي. فهو النور والهدى والسراج المنير الذي يستنير به الناس، ويقتدون بسيرته. فصلى الله تعالى على خير البشر، وجمعنا وإياه في مستقر رحمته.

□ □ □

(١) البخاري (١٢٢/١ و٨٠/٣)، والنسائي (١٠٢/٣).

(٢) البخاري ٧٥/٣ (٢٠٧٦).

المبحث الثالث: تأثير القدوة السيئة، والصديق الملازم

المطلب الأول: خطر القدوة السيئة

كما أن هناك قدوة حسنة تساهم في تربية النشء تربية صالحة، وتساهم في رفعة المجتمع وتنميته، فهناك قدوة سيئة تهدم وتنسف قيم المجتمع، وتحطم أركانه وقيمه وتطلعاته.

وتختلف النماذج السيئة في كل مجتمع باختلاف الحالة الاجتماعية، وقد تتنوع الصور وفق تنوع المجتمعات، ففي المجتمعات الغربية مثلا نرى كثرة القدوات السيئة، المتمثلة بمشاهيرهم من ممثلين ومغنين ومن أصحاب الأفكار المنحرفة، الذين يبثون فسادهم وأفكارهم الشاذة والملحدة أحيانًا عبر تصرفاتهم وسلوكياتهم وملابسهم، حتى غدا شباب المسلمين يتأثرون ببعض مشاهيرهم في الرياضة. فإن وشم بعضهم قلدوه واقتدوا به، وهكذا في قصات شعورهم، وحركاتهم، وما يحبون وما يكرهون!.

وأثر هذه القدوات- للأسف الشديد- بَيِّنٌ مشاهد في مجتمعاتنا الإسلامية.

إن الحديث عن أثر القدوات السيئة في المجتمعات الغربية، لا يعني أننا ننفي وجود مثل هذه النماذج السيئة في مجتمعاتنا الإسلامية، فهي موجودة ولها تأثيرها الواضح على مجتمعاتنا. وقد أصبح انتشارها في الآونة الأخيرة واضحا في ظل وجود الأجهزة (الذكية)، التي ساهمت بشكل كبير في انتشار مثل هذه الفئة من النماذج السيئة. وأكثر ما تلقى رواجًا لدى شريحة المراهقين فهم محط أنظارهم وإلهامهم، ويلاحقونهم في المنتديات والمعارض وعبر الأثير حتى في إعلانات الشوارع، مما نتج عنه أن أصبحوا أداة ربحهم غي إعلانات كثير من المتاجر والمطاعم من الشركات، ضاربين عرض الحائط بقيم المجتمع وآدابه وأخلاقه. أليس الهدف هو الربح وزيادة الدخل؟

إن الحديث عن هذه النماذج السيئة يطول كثيرًا، وحسبنا أن نشير إشارة خفيفة إلى تأثيرها وخطرها على المجتمع وأخلاقه، وأنها تمثل تهديدًا كبيرًا لجهود المصلحين الذين يرون في هذا التيار المعاكس تحديًا كبيرًا يجب التصدي له حفاظا على الأجيال وسلامة المجتمع من الانحراف والسقوط في هاوية الرذائل. مما يؤكد أن القدوة السيئة ليست وليدة هذا العصر، فهي قديمة؛ إذ التدافع بين الحق والباطل قديم، وهما قطبان يتنازعان في صراع دائم منذ الأزل.

فمن القدوات السيئة التي قصها علينا القرآن الكريم، نموذج فرعون عليه من الله ما يستحق، قال فيه ربنا جل وعلا: {**فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ**}، [الزخرف: ٥٤]، فبعد أن استخف بعقولهم استسلموا لضلاله وكبره وغروره، ثم عبدوه من دون الله تعالى، قال تعالى: وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي وقال سبحانه: فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) فكانت النتيجة أن كانت جهنم هي دارهم وقرارهم {**فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ**}، [هود: ٩٨].

من هنا نعلم خطر القدوة السيئة وأثرها في انحلال المجتمعات وضياعها، وعلى المصلحين وأهل العلم أن يتصدوا لهؤلاء الذين يهدمون ما بناه أهل الصلاح، وأن يبينوا خطرهم وشرهم على المجتمع، مع تذكريهم بدينهم الحنيف ومبادئهم وعاداتهم التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم، وأن يكون سلاح الإصلاح بالوسائل ذاتها التي يستخدمها أهل الفساد، وننبه هنا على أن المجتمع يتطور ويتجدد وفق التغيرات العالمية، ولا يبقى على حال واحدة، وبالتالي يجب تطوير الوسائل. وأعني بهذا الوسائل الحديثة التي باتت سمة هذا العصر، فليس من المعقول أن نتواصل مع المجتمع عن طريق الصحف والمجلات التي تغلق مطابعها يومًا بعد يوم، ولا بالندوات والمحاضرات التقليدية، لأن المجتمع أصبح أكثر سرعة، وصار لكل فرد رأيه ومنبره الخاص يبثه على برامج التواصل الاجتماعي، لذا كان لزامًا على المصلحين والمربين أن يسعوا لمواكبة هذا التطور التكنولوجي في نشر الخير والإصلاح في المجتمع، متوكلين على الله تعالى في مسعاهم، مقتدين بسيرة خير البشر في دعوتهم.

□ □ □

المطلب الثاني: أثر الصداقة في الاقتداء:

تتمثل القدوة الحسنة بكثير من الشخصيات التي نعايشها ونتفاعل معها، وفي أول هذه القائمة يأتي الصديق.

فالصديق الموفق يُلهم مَن صادقه صفات خير، وخصال نُبل ونقاء، كالوفاء والأمانة والصدق والبذل والتقوى، فهو ملاذ آمن لأبنائنا، يخرجهم من دائرة الأسرة مع عدم الخوف عليه. وما أكثر ما يكون تأثير الأصحاب على أصحابهم أكبر من تأثير غيره. والعكس بالعكس؛ كل ذلك بسبب عنصر الملازمة للصديق فترات طويلة، وبحكم تقارب العمر الميول وتطابق التوجهات، وفي الحديث: "الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ"(١).

وقال الشاعر:

عَــنِ المَــرْءِ لا تَسَــلْ وسَــلْ عَــن قَرِينــه فكُـــــلُّ قَـــــرِين بالمُقـــــارن يَقْتَـــــدِي

من هنا جاء الدين الحنيف حاثًا على مرافقة الصالحين، ومحذرًا من رفقاء السوء، وضرب نبينا عليه الصلاة والسلام مثالًا عظيمًا نحتذي به، باقيًا إلى يوم الدين، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا مُنْتِنَةً"(٢).

□ □ □

(١) أبو داود، المرجع السابق، (٤٨٣٣)، والترمذي، المرجع السابق،(٢٣٧٨) وقال: (حديث حسن غريب).

(٢) متفق عليه: البخاري ١٢٥/٧ (٥٥٣٤)، ومسلم ٣٧/٨ (٢٦٢٨) (١٤٦).

المطلب الثالث: كيف نضبط الاختلاف بين القدوات؟

أو كيفية التمييز بين القدوة الحسنة والسيئة؟

تحدثت فيما سبق عن أثر القدوة بالاتجاهين: الحسن والسيء، ولكن ربما يُطرح سؤال:

ماذا لو وقع المقتدي في حيرة من بعض سلوكيات القدوة، أو شك في صحة السلوك، وقد يخفى عليه طريق التحقق من ذلك، وقد في تناقض القدوات، وما يشبه هذه الأحوال الخطيرة تربويًا ونفسيًا؛ لانعكاسها على سلوك المقتدي، ومن ثم من يقتدي به عاجلًا أو آجلًا.

موجز الجواب، هو وجوب مراعاة أمرين اثنين عند اتخاذ القدوة كأسلوب من أساليب التربية الذاتية:

١ـ أن كل قدوة يؤخذ من أفعاله وأقواله البعض، ويترك البعض إلا صاحب المستوى الأول في القدوة وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأن البشر يخطئون ويصيبون إلا الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه فإنهم معصومون.

٢ـ يترتب على ذلك أن تعرض أعمال القدوات وأحوالهم وأقوالهم على الكتاب والسنة ليتجلى مدى قربها أو بعدها عنهما، فيؤخذ الموافق ويترك المخالف إن ظهر وتبين[١].

(١) الأهدل، د. هاشم علي، التربية الذاتية من الكتاب والسنة، برنامج الشاملة الإلكتروني، shamela (٩٧).

الخاتمة

الحمد لله حمدا كثيرا مباركا فيه، على منه وكرمه بما تفضل علي مِن إتمام هذا البحث المتضمن بيان "أثر القدوة الحسنة في التربية الإسلامية"، في سلوك الأفراد وتربيتهم، وما ينعكس عليه من أثر طيب في صلاح المجتمعات، وقد بينتُ في بحثي هذا، معنى القدوة وأهميتها، وما يجب أن يكون عليه الآباء والمصلحون من البدء بالنفس، في حسن الخلق مما ينعكس على شخصية الأبناء إيجابيًا، بلا كثير قول، وطويل تنظير.

ثم أتبعتُ ذلك بالحديث عن بعض ما ورد في القرآن الكريم، والسنة المطهرة عن القدوة الحسنة، وخير من يمثلها عمليًا في هذه الحياة حتى يرث الله الأرض ومن عليها، هو سيد الخلق وخاتم النبيين والمرسلين سيدنا وقدوتنا محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، حيث ذكرتُ قبسات من شخصيته وتعاملاته مع شرائح عدة من شرائح المجتمع، وذكرتُ نماذج ومواقف تبرز معاني القدوة الحسنة بصورتها النقية البراقة.

ثم بينتُ أثر القدوة السيئة على أفراد المجتمع، وخطر ترك هذه النماذج دون التصدي لها، والتنبيه على خطرها، وما تشكله من تهديد على الأفراد والمجتمعات، كما بينتُ في بحثي أثر الصديق القدوة الذي يؤثر بشكل مباشر على مَن يصادقه، وبينتُ أيضًا أن القدوة الحسنة عامل من عوامل صلاح المجتمع عامة، إذا كان ذا استقامة؛ لتحقق تأثيره في المحيطين به.

وختمت ببيان ضابط القدوات المتناقضة، وذلك بمعيار معصوم مؤيد ملهم من رب العزة سبحانه وتعالى.

والله أسأل أن ينفعني وإخواني بما كتبت، وأن نكون هداة مهتدين إلى الحق، ودعاة إلى الخير، نساهم في رفعة وصلاح مجتمع، لما فيه خير العباد والبلاد، والحمد لله رب العالمين.

□ □ □

التوصيات

١ ـ على أجهزة الدولة المختلفة- ولا سيما الإعلام- الاهتمام بالنشء عن طريق إبراز القدوات الصالحة في محاضن التعليم والتربية المتنوعة.

٢ ـ دور أهل العلم والفضل في توجيه المجتمع إلى الخير.

٣ ـ الأسرة هي الحاضنة الأولى توجيهاً وإرشاداً وتربية، لذا وجب على الوالدين الأخذ بعين الاعتبار أثر القدوة الصالحة في نفوس الأبناء وسلوكهم.

٤ ـ التنبيه على أثر برامج التواصل الاجتماعي في التأثير على الأجيال سلبًا أو إيجابا، واتخاذ الإجراءات العملية التي تقلل أو توقف السلبيات.

□ □ □

المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الشربيني محمد بن أحمد، شمس الدين، تفسير السراج المنير، دار الكتب العلمية- بيروت، د.ت.

٣- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري = الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، دار ابن كثير، اليمامة– بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

٤- مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبو الحسين، صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ط١، تحقيق: محمد تميم، وهيثم تميم، دار الأرقم، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٥- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داوود، مراجعة: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكة: دار الباز، د.ت.

٦- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة أبو عيسى ، سنن الترمذي: ، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧- أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، سنن النسائي الكبرى، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١١-١٩٩١، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن.

٨- أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة- القاهرة.

٩- محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، صحيح ابن خزيمة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠- ١٩٧٠ تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي.

١٠- عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، سنن الدارمي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط١، ١٤٠٧ تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي.

١١- البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق: محمّد السّعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٠/١٩٩٠.

١٢- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة أبو عيسى، الشمائل المحمدية والخصائص المصطفوية، تحقيق صدقي محمد جميل العطار، خرج حديثه وعلق عليه عبد القادر عرفان العشّا حسونة.

١٣- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني- مطبعة الملاح- مكتبة دار البيان، ط١.

١٤- ابن الأثير أيضًا، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ.

١٥- علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (ت١٠٤٤هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت ط٢- ١٤٢٧هـ

١٦- ابن حزم، علي بن أحمد الأندلسي، الأَخْلاَقُ وَالسِّيَرُ، تحقيق عادل أبو المعاطي، دار المشرق العربي،

القاهرة، طبعة١، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

١٧- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، صفة الصفوة، دار المعرفة- بيروت، ط٢، ١٣٩٩- ١٩٧٩ تحقيق: محمود فاخوري ود. محمد رواس قلعه جي.

١٨- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ط١- ١٤١٢ هـ.

١٩- الفيومي، المصباح المنير، ط١، المكتبة العلمية- بيروت، د.ت.

٢٠- الأهدل، د. هاشم علي، التربية الذاتية من الكتاب والسنة، برنامج الشاملة الإلكتروني.

فهرس الموضوعات

الملخص ١
Summary ٢
المقدمة ٣
تمهيد ٤
- المطلب الأول: معنى القدوة وأهميتها ٤
- المطلب الثاني: ابدأ بنفسك ٦
المبحث الأول: القدوة في القرآن الكريم وفي الهدي النبوي ٨
- المطلب الأول: القدوة الحسنة في القرآن الكريم: ٨
- المطلب الثاني: القدوة في الهدي النبوي ٩
المبحث الثاني: نماذج من القدوة في التربية النبويَّة ١٠
- المطلب الأول: صفاته الشخصيَّة: عبادته، شجاعته، خلقه، رحمته. ١٠
- المطلب الثاني: علاقاته مع: الزوجات، الأصحاب، الأعداء، الحيوانات، البيع والشراء. ١٣
المبحث الثالث: تأثير القدوة السيئة، والصديق الملازم ١٧
- المطلب الأول: خطر القدوة السيئة ١٧
- المطلب الثاني: أثر الصداقة في الاقتداء: ١٩
- المطلب الثالث: كيف نضبط الاختلاف بين القدوات؟ ٢٠
الخاتمة ٢١
التوصيات ٢٢
المراجع ٢٣
فهرس الموضوعات ٢٥